

إشكالية دراسة الوزن في الشعر الشعبي المغربي

د. سالم بن لباد

جامعة البويرة

تمهيد:

قد يصادف الباحث مشكلا حين يتحدث عن أوزان الشعر الشعبي، فرغم اجتهاد القدامى إلا أن موضوع الأوزان ظل غامضا ومبهوما، لأن مجال البحث لا يزال جديدا يتطلب من الباحث الصبر وطول النفس، يقول أبو حجة الحموي أنّ «فنّ الرّجل لم تزل أوزانه إلى عصرنا هذا متجدّة، ولكنّها غير جائزة في الشّعْر لخروجها عن البحور المعهودة، ومخالفة كلّ شطر من البيت الآخر في القصر والطّول والقافية، وبناء البيت الواحد على عدّة أوزان وقوافٍ...»¹.

واختلف الأمر عند المحدثين الذين اجتهدوا وأكثروا البحث والدراسة في هذا المجال، وأهم دراسة في ميدان عروض الشعر نذكر رسالة عبد العزيز المقالح والموسومة (شعر العامية في اليمن)، ولكن لم تكن الدراسة معمقة بل مجرد ذكر لأشكال القصيدة العامية اليمنية، ولم يذكر أنواع البحور الشعرية الشعبية.

ونجد محاولة جادة التي تحدث عنها عباس الجراري في رسالة الدكتور الموسومة (القصيدة الرّجل في المغرب) حين أكد بوجود أوزان تختلف عن بحور الخليل يقول في ذلك: «حقا أن الرّجالين - سواء في المغرب أو غيره - نظموا أشعارهم على أوزان لا نجد لها مثيلا في العروض العربي الذي حدده الخليل»².

أما الدراسة التي فصلت وأزالت الغموض عن عروض الشعر الملحون في الجزائر، مقام به الدكتور مصطفى حركات، حيث استطاع أن يعطي أمثلة عن أهم الأوزان التي يحتويها الشعر الملحون، وطبق هذه النظريات على مجموعة من القصائد الجزائرية سنتطرق إليها لاحقا.

1 - أبوبكر حجة الحموي، بلوغ الأمل في فنّ الرّجل، تح. رضا محسن القرشي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م، ص 100، 101.

2 - عباس الجراري، القصيدة الرّجل في المغرب، مطبعة الأمنية، المغرب، 1970م، ص 131.

إن الشعر الشعبي الجزائري العربي هو كل شعر خالفت لغته اللغة الفصحى في الإعراب أو الصرف أو المعجم وهو مرتبط باللهجات العامية:

أ- ومثال الاختلاف في الإعراب يكون عندما تسقط حركاته، مثل قول الشاعر:

قَلْبِي ضَرِيرٌ مَالُو دَوَاءٌ مَنْ حُبُّ رَيْمِ الْمَغْنَجِي

فكلمة (ضريير) المجزومة أخرجت لغة البيت عن الفصحى.

ب- أما عن الاختلاف في الصرف يكمن في الخروج عن الميزان الصرفي مثل قول الشاعر:

أَشْ ذَا الْعَارِ عَلِيكُمْ يَا رَجَالَ مَكْنَسَانِ

فكلمة (رَجَالٌ) وردت مخالفة للميزان الصرفي فَعَالٌ، وبذلك خرجت الكلمة عن الصرف.

ج- أما عن الخروج عن المعجم فقد يتمثل في الكلمة (آش) الموجودة في أول البيت السابق.¹

1- أقسام الشعر الشعبي (الملحون): ينقسم الشعر الشعبي إلى قسمين أساسيين:

أ- الشعر البيئي: هو الشعر الذي أهمل حركات الإعراب وحافظ على إيقاع اللغة العربية الفصحى مثل قول

الشاعر:

بَدْرُ الدَّجِي عَسْعَاسٌ وَاللَّيْلُ رَاخٌ

إن استعمال الشاعر لكلمة (الدجى) مخالف للإيقاع العامي وصرفها، فهو مبني على إيقاع الفصحى وبذلك يمكنه

الخضوع لتفعليلات الخليل. وكمثال آخر عن هذا القسم قول الشاعر:

أَصَابَنِي مَا أَصَابَهَا أَصَابَنِي مَرَضُ الْهُوَى

نلاحظ أن استعمال الشاعر لكلمة (أصابني) جاءت على الشكل الفصحى، فإذا أردنا أن أديها على الشكل

العامي تكون كالاتي:

صَابَنِي مَا صَابَهَا أَصَابَنِي مَرَضُ الْهُوَى

وسمي هذا القسم بالشعر البيئي لوقوعه بين الفصحى والعامي من ناحية اللغة أولا والوزن ثانيا.²

1 - أنظر. مصطفى حركات، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، دار الآفاق، الجزائر، (د،ت)، ص16.

2 - أنظر. المرجع السابق، ص18.

ب-الشعر الملحون: كل شعر ورد على إيقاع العامية، لا يلتقي فيه متحركان - عكس الفصح الذي لا يلتقي فيه ساكنان-، ويخالف الفصح أيضا في الإعراب والصرف والمعجم. ومثال ذلك قول الشاعر:

يَا لَايْمَ لَا تُلُونِي قَلْبِي مَحْرُوقٌ

نلاحظ من خلال هذا البيت اختلاف عن الفصح في الثلاث النقاط السالفة الذكر، أولها انزياح إعرابي حين يسكن الشاعر كلمة (لايْمَ)، اختلاف صرفي في قوله (لا تُلُونِي)، واختلاف عن المعجم في قوله (لايْمَ) المنحرفة عن (لأَيْمَ).

2-أصناف الملحون:

يصنف الشعر الملحون من الجانب العروضي حسب المستويات التي تفصل بين الشطر والقصيدة¹:

أ- الشعر الذي تكون الأبيات فيه متماثلة، مكونة من شطرين من القصائد، حيث إطلاع على هذا النوع بتسمية الملحون نسبة إلى القصيدة العمودية القديمة.

ب- الشعر المبني على الفقرات: هو الشعر المنظوم على شكل رباعي الأبيات أو سداسي...

ويمكن أن نصنف الشعر الملحون أيضا حسب الأوزان وهما التصنيف حسب مصطفى حركات «هام جدا لأنه أساس كل عروض. وغيابه في النظريات لا يعني غيابه من ملكة الشعراء...»²

3-المقاطع في الشعر الملحون:

يختلف الشعر الشعبي عن الشعر الفصح في اللغة، كما يختلف معه في الأوزان رغم تشابه في بعض التفاعلات، أما اختلاف العروضي يكمن في المقاطع، فيقاس الشعر الفصح بمتحرك وساكن ولا يقبل التقاء ساكنين.

أما مقاطع الشعر الشعبي فهي نوعان:

أ-المقطع الممدود وهو اتباع حركة بساكن(01) ويرمز له بالحرف (س)

ب-المقطع الطويل الممدود وهو اتباع حركة بساكنين(001) ويرمز له بالحرف (ط)

ولا يجوز في الشعر الشعبي التقاء حركتين فإن كان ذلك يجب تسكين أحدهما. وإذا التقى أكثر من ساكنين يحذف ثالثهما.

1 - أنظر.المرجع نفسه، ص18.

2 - المرجع نفسه ، ص19.

4-بحور الشعر الشعبي:

قد يختلف معظم الدارسين للشعر الشعبي(الملحون) في تحديدهم لبحور هذا النوع من الشعر، والسبب في ذلك تعدد الأوزان واختلافها في القصيدة الواحدة، وهو ما أكده صفي الدين الحلبي حين يقول:«الزجل أرفع الفنون المستحدثة رتبةً، وأشرفها نسبةً، وأكثرها أوزاناً، وأرجحها ميزاناً. ولم تزل إلى عصرنا هذا، أوزانها متجددة، وقوافيه متعددة»¹. ومن بين أعمال الجادة في دراسة بحور الشعر نذكر ما قام به الدكتور مصطفى حركات، حين استطاع التمييز بين بحور الشعر الشعبي الملحون والبحور التي اعتمدها الخليل في دراساته. حيث حاول أن يجمع البحور الأكثر شيوعاً والتي حصرها في مايلي:

1- ملحون الرجز الثاني: سمي بهذا الاسم لأن تفعيلته الثانية انقلبت على تفعيلة بحر الرجز (مستفعلن)، لتصبح

مستفعلن لان وتفعيلاته هي:

أ-العشري:

مفعولاتن مستفعلن لان مستفعلن لان مستفعلن لان
(س س س س) (س ط ط) (س ط ط) (س س س س) (س س س س) (س ط ط) (س ط ط)

ب-السباعي:

مفعولاتن مستفعلن لان مفعولاتن مستفعلن لان
(س س س س) (س ط ط) (س س س س) (س س س س) (س ط ط) (س ط ط)

الشاهد:

لَوْ صُبَّتْ نُرُوزٌ مَقَامٌ ذَاتٌ بَدْرُ الثَّمَامِ يَتَفَاجَى كُلُّ أَعْيَامٍ يَنْجَلَاوُ الْهُمُومِ
لَوْ/صُبُّ/تَنْ/زُورٌ/مَقَامٌ/ذَاتٌ/بَدْرُ/رَتْ/مَامِ يَتْ/فَا/جَى/كُلُّ/لَعُ/يَامٌ/يَنْجُ/لَا/وَلُهُ/هُومِ

001 01 01 01 01 01 001 001 01 001 001 01 01 01 01 01

001 001 01 001

(س س س س) (س ط ط) (س ط ط) (س س س س) (س س س س) (س ط ط) (س ط ط)

1 - صفي الدين الحلبي، العاقل الحالي والمرخص الغالي، نشر هونرياح، 1955م، ص113.

مفعولاتن مستفع لان مستفع لان مفعولاتن مستفع لان مستفع لان¹

2-شبه العروبي: سمي بشبه العروبي لأنه يشبه إلى حد كبير الشعر البدوي الذي يبنى على مقطعين. تفعيلاته هي:

أ-العشري:

مفعولن فعلان فاعلن مفعولن مفعولن فاعلن مفعولن

(س س س)(س ط)(ط س) (س س س)

ب-السباعي:

مفعولن فعلان فاعلن مفعولن فعلان فاعلن

(س س س)(س ط)(ط س) (س س س) (س س س) (س س س) (س س س)

الشاهد:

نَشْفَكُرْ أَيَّامَ زَهْوِنَا أَيَّامَاتِ الْفَرْخِ وَالْهِنَا

نَتْ/فَكْ/كُرْ/أَيَّ/يَامَ/زَهْوِنَا أَيَّ/يَا/مَا/تَلْ/فَرْخِ/وَالْ/هِنَا

(س س س)(س ط)(ط س) (س س س) (س س س) (س س س) (س س س)

مفعولن فعلان فاعلن مفعولن فعلان فاعلن²

3-العروبي: سمي كذلك لأنه خاص بسكان البادية، ويطلق على الأبيات الممدودة في الرابع والخامس رغم عدد

مقاطعها، تفعيلته هي:

أ-العشري:

مفعولاتان مافعلون مفعولن مفعولاتان مافعلون مفعولن

(س س س ط)(ط س س) (س س س)

1 - مصطفى حركات، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، ص 60.

2 - المرجع السابق، ص 69.

ب-السباعي:

مفعولاتان مفعولن مفعولاتان مفعولن
(س س س ط) (ط س س س) (س س س ط) (ط س س س)

الشاهد:

مَنْ لَا يَغْدَرُشُ فِي الْمَمِّ حَائِنٌ قَادِرٌ يَبْلِيهِ كَيْ بِلَانِي
مَنْ/ لَا/ يَغْدَرُشُ/ فِي الْمَمِّ/ حَائِنٌ فَلَمْ/ حَائِنٌ قَا/ دَرُ/ يَبْ/ لِيَهْ / كَيْبُ/ لَا/ نِي
(س س س ط) (ط س س س) (س س س ط) (ط س س س)
مفعولاتان مفعولن مفعولاتان مفعولن¹

4- ملحون الرجز الأول: سمي كذلك لأن تفعيلته الأولى منقلبة على تفعيلة بحر الرجز، وتفعيلاته هي:

أ-العشري:

مستفع لان مفعولاتن مستفع لان مستفع لان مستفع لان
(س ط ط) (س س س س) (س ط ط) (س ط ط) (س س س س) (س ط ط)

ب-السباعي:

مستفع لان مفعولاتن مستفع لان مفعولاتن
(س ط ط) (س س س س) (س ط ط) (س س س س)

الشاهد:

أَنَا صَغِيرٌ عُرِّي مَا نَعْرِفُشِي الْكُلُوفُ وَيَنْ أَدَاؤُنِي رِجْلِي وَالْأَمْشِيَتْ
أَنْ/ نَاصِ/ غَيْرُ/ عُرِّي/ مَا/ نَعْرِفُشِي/ الْكُلُوفُ وَيَنْ/ نَادُ/ دَاؤُنِي/ رِجْ/ لِي/ يَا/ لَمْ/ شِيَتْ
(س ط ط) (س س س س) (س ط ط) (س ط ط) (س س س س) (س ط ط)
مستفع لان مفعولاتن مستفع لان مستفع لان مستفع لان¹

5- المتدارك الملحون: سمي بالمتدارك الملحون لأن تفعيلته الأولى منقلبة على تفعيلة البحر المتدارك، ويطلق اسم

المتدارك في الشعر الملحون على كل بيت يتبدأ بممدودان (ط ط)، أما تفعيلاته هي على الشكل الآتي:

أ-العشري:

فَاعْلَانُ مفعولن فِعْلَانُ مفعولن فاعلان مفعولن فِعْلَان مفعولن

(ط ط) (س س س) (س ط) (س س س) (س س س)

ب-السباعي:

فَاعْلَانُ مفعولن فِعْلَانُ مفعولن فاعلان مفعولن فِعْلَان مفعولن

(ط ط) (س س س) (س ط) (س س س) (س س س) (س س س) (س س س) (س س س)

الشاهد:

يَا الْوَاحِدُ الْخَالِقُ الْعَبَادُ سُلْطَانِي لَكَ نَشْتِكِي بَأْمَرِي يَا صَاحِبَ الْقُدْرَةِ

يَالْوَاحِدُ/ذَلْ/حَا/لَقْ/أَعْ/بَادُ/سُلْ/طَانِي لَيْكُ/نَشْتُ/كِي/بَمْ/رِي/يَا/صَاحِبُ/بِنْ/قُدْرَا

(ط ط) (س س س) (س ط) (س س س) (س س س) (س س س) (س س س) (س س س)

فَاعْلَانُ مفعولن فِعْلَانُ مفعولن فاعلان مفعولن فِعْلَان مفعولن²

6- الملحون المشرقي: أول من أطلقوا اسم المشرقي على هذا البحر هم المغاربة، جاءت التسمية بهذا الشكل

لأنه جاء من شرق المغرب أي من الجزائر، ويطلق على التساعي منه بالتلمساني. ويطلق هذا البحر على البيت الذي مد

أوله وسابعه، أما تفعيلاته جاءت كمايلي:

أ-العشري:

مفعولن مفعولتان مفعولن مفعولن مفعولتان مفعولن

1 - المرجع السابق، ص 77.

2 - مصطفى حركات، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، المرجع السابق، ص 82.

(ط س س) (س س س ط) (ط س س) (س س س س ط) (ط س س)

ب-السباعي:

مافعولن مفعولاتان مافعولن مفعولاتان

(ط س س) (س س س ط) (ط س س) (س س س س ط)

الشاهد:

كَيْفَ يَنْسَى قَلْبِي عُرْبَ الْعَقِيقِ وَالْبَانَ وَالْعَقِيقُ عَيْونِي بِقَلَايِدُو أَنْهَلُوا

كَيْفَ / يَنْ / سَى / قَلْ / بِي / عُرْ / بِلْعَ / قِيقْ / وُلْ / بَانَ / وُلْعَ / قِي / قَعْ / يُو / نِي / بَقْ / لَائِي / ذَوَانْ / هَلْ / لُو

(ط س س) (س س س ط) (ط س س) (س س س س ط) (ط س س)

مافعولن مفعولاتان مافعولن مفعولاتان مافعولن¹

7- البدوي الملحون: اشتهر هذا البحر عند البدو لذلك سمي باسمهم، ويختلف عن شبه العروبي في المقطع الرابع،

ويطلق هذا البحر على الأبيات الممدودة في الخامس، تفعيلاته تأتي على الشكل الآتي:

أ-العشري:

مفعولن فعلان مفعولن فعلان مفعولن فعلان مفعولن فعلان

(س س س) (س س ط) (س س س س) (س س س) (س س س س) (س س س س) (س س س س) (س س س س)

الشاهد:

لَا تَقْنَطُ يَا خَاطِرِي سَاعَفَ لَقْدَارُ وَتَمَاهَلْ لَمَصَايِبِ الدَّهْرِ الْفَانِي

لَا / تَقْ / نَطْ / يَا / خَاطِرِي / سَا / عَفْ / لَقْ / دَارُ / وَتْ / مَاهَلْ / لَمْ / صَايِبِ / دَهْرُ / الْفَانِي

(س س س) (س س ط) (س س س س) (س س س) (س س س س) (س س س س) (س س س س) (س س س س)

مفعولن فعلان مفعولن فعلان مفعولن فعلان مفعولن فعلان²

1 - المرجع نفسه، ص 84.

2 - المرجع السابق، ص 92.

خلاصة:

قد يشكو الكثير من الدارسين للشعر الشعبي، من تداخل بعض البحور وتشابها خاصة ماتعلق بالبحر شبه العروبي والبدوي، وهذا خلل ناتج ربما عن بعض الشعراء غير المتمكنين أو ذوي خبرة محدودة، لكن نقول أن الدكتور مصطفى حركات قد وفق إلى حدّ كبير في دراسته، وهو الوصول إلى أهم أوزان الشعر الملحون في الجزائر، وبذلك فتح مجالا آخر للبحث والتنقيب.